

على هامس النقر:

بمناسبة ذكرى حافظ

للأستاذ سيد قطب

كان مقدراً أن تنشر هذه الكلمة بمجلة الثقافة ، وكنت أعتبر هذا من جاني مراعاة للياقة ، لأن المقال قد ليض آراء الأستاذ الكبير أحمد أمين في الأدب ، فأول أن ينشر في مجلته ولكن « الثقافة » رأيت غير هذا الرأي ، فلم يلى لا أكون مسئولاً عما في نشر هذه الكلمة هنا من مجانبة للجمالة الواجبة . سيد قطب

منذ أيام قابلني أحد المتأدبين قبادرنى بقوله : « أين قصائدك في الحرب وأهوالها ؟ » فلم أزد أن أجيب الجواب الجدى على هذا السؤال ، واكتفيت أن أقول : إنما يتكلم لليوم المدفع والديابة ، فلا حاجة إلى أسئلة للشعراء !

ومنذ سنوات ، وأنا أقرأ في الصحف أو أسمع في المجالس ، أن للشعير قدمات بموت شوق وحافظ ، لأن شعراء مصر الحاليين لا ينظمون في أحداث مصر ولا يسجلون مناسباتها الهامة في قصائدهم ، ولا ينوبون عن الجماهير في تصوير عواطف الجماهير ! وأذكر أنني لم أحفل كثيراً بما قرأته وسمعت من هذا القبيل لأنه — لحسن الحظ — لم يكن يسدر من أناس لهم صفة الإمامة أو سلطة التوجيه ، فلم يكن له من الخطر ما يجفز إلى دفعه أو تصحيح الرأي فيه

وكنت مطمئناً إلى أن المدرسة الحديثة — وعلى رأسها الناقد الكبير الأستاذ العقاد — قد أفلحت في تصحيح الأفكار عن الشعر والشاعر في خلال ثلاثين عاماً لم تفتت فيها عن بندر بدور جديدة لتقدير الأدب والأدباء

ولكنني استممت إلى كلمة الأستاذ الكبير أحمد أمين عميد كلية الآداب مساء أمس في ذكرى للمرحوم حافظ بك إبراهيم ، فأحسست حقيقة الخطر . وعلى رغم أنني في هذه الأيام مريض مرضاً يقتضى الراحة التامة لم أجد أن خطر المصاحفات المرضية أهد من خطر الفكرة التي بدت في ثنايا كلمة الأستاذ ، والدعوة

الضمنية التي دعاها لشعراء الجيل ، فجملت أكتب هذه للكلمة على مجل !

ليست أمانى نصوص خطبة الأستاذ الكبير ، وإنما أنا على ذكر من غزاها بعد السماع ، وهي تمنى فيما أعتقد أن يقوم بيننا من يخلف شوق وحافظ في تسجيل أحداث مصر والمخالف بما في نفوس جمهورها ، وبلورة أحاسيسه وصياغتها . ولم ينس الأستاذ أن يكون من هذه الأحداث التي لوراها حافظ لقال فيها : توزيع البترول بالبطاقات . وبدأ في كلام الأستاذ ونبرة الأسمى على موت حافظ دون أن يخلفه أحد في منزلته هذه ، أن هذه الزية تقتضى الأفضلية ، وأنها أهم أدوات الشاعر وأفضل اتجاهاته ، ولهذا تمنى أن يخلفه في مصر خلف من الشعراء

وهذه دموع خطيرة . ومنشأ خطرهما أن المخالف بها هو الأستاذ أحمد أمين مؤرخ الأدب وعميد كلية الآداب ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر وصاحب مجلة « الثقافة » وهو بهذه الصفات وبماضيه الأدبي وحاضره يملك سلطة التوجيه وله صفة القدوة .

ولا بمنعنا مقام الأستاذ الكبير واحترامنا للمعيق لشخصه وعلمه ، أن نبدي الرأي الذي يقابل رأيه ، وأن نرسل بهذا الرأي إلى مجلة الثقافة التي يشرف عليها !

ونحن نقول في جملة واحدة ، وفي نفس واحد كذلك : إن هذه دعوة إلى نكسة من نكسات الشعر بعدما تجاوز مرحلتها في مصر وفي العالم منذ أزمان ، وتمنى على الله ألا يخلف شوق ولا يخلف حافظ — مع احترامنا لذكراهما — خلف من الشعراء في خلة التمييز عن شعور الجماهير وبلورة هذا للشعور ، ورصد للشعر الأحداث القومية والهالية على طريقتيها وطريقة من يقلدونها في هذا الزمان !

وأحب أن أبادر هنا بالنفبه إلى أن شخص شوق وشخص حافظ في ذمة التاريخ وبين يدي الله ، أما شعراهما في ذمة للنقد وبين أيدينا نحن ! فليس من المقوق وليس من عدم اللياقة أن نتناول طريقتيها وشعراهما بالنقد ، لأننا بحمد الله لا نؤمن بلياقة للموام ! ولا بأداب للصالونات !

ويجب ألا ننسى أن شاعراً واحداً من شعراء الشخصية يعلم أمته حب الجلال في أعماقه للعالية ، إنما يعلمها من معاني الحرية والثورة على الاستعباد أضعاف ما يعلمها شاعر من شعراء القبيلة يتادبها كل يوم بتحطيم القيود ورفض الاستعباد فالنفس الإنسانية لا تتساقى لحب الجلال الطليق ، ولا تحس حقيقة هذا الإحساس الرفيع ، ثم يبقى فيها ظل للاستعباد أو صبر على بقاء الأغلال ، وهي وشيكة حينئذ أن نخاض من الاستعباد الخارجي ومن مساوى الحكم والاجتماع الداخلي في آن لأنها تسامت بإحساسها وذوقها وكل عنصر داخلي فيها عن مهاري القتل والفساد

وقصاري ما يقال في شوق أو في حافظ - يرحمه الله -
أشهما شاهران ممتازان بالقياس إلى عصرهما ، وأشهما أدبا الواجب عليهما في حلقات النهضة الأدبية لأنهما شاهران ممتازان بالقياس إلى الشعر في جميع الأزمان

وإنك لتجردهما من زمانهما وظروفهما فتجردهما من خير ميزاتهما الفنية ؛ وليس كذلك شعراء كالقنبي وابن الرومي والمعري وأعرابهم في الشرق والغرب ، لأن هؤلاء من شعراء الشخصية النموذجية ، وهذان من شعراء القبيلة العامة وليس أدل عندى من اطراد النهضة الأدبية في مصر - مع قلة الأدلة على هذا مع الأسف - من أن أحداً لم يخلف شوق ولم يخلف حافظ في طريقتهما ، لأننا بهذا توقيتنا للنكسة إلى شعراء القبيلة ، وإن لم نرتق إلى شعراء الشخصية إلا في عدد نادر جداً من بين شعراء هذا الجيل

سيد قطب

(حلوان)

وعلى وجود الفرق بين حافظ وشوق في تسجيلهما للأحداث إذ كان حافظ يسجلها لأنه واحد من الجماهير التي تحس بها ، ولأن شعور الجماهير كان يتلور في حسه فيتطرق به . أما شوق فكان يسجلها تمسكاً مع اتجاه الجماهير ، وتوخياً لمهاب الرياح ، وتيقظاً لما تتطلبه الأحاسيس العامة

على وجود الفرق بينهما في هذا ، وأفضلية حافظ ولا ريب بالقياس إلى بواعث القول في نفسيهما ، وإن فضل شوق في الأداء واتساع الآفاق في هذا المجال - على وجود هذا الفرق فإن كليهما كان يمثل شاعر للقبيلة على وضع من الأوضاع وشاعر للقبيلة المهاتف بأحاسيسها العامة ، المسجل لأحداثها الهامة ، الذي تفزع إليه في الملمات ليقول ، وتتطلع إلى شفتيه لتتلقف منهما ما تحس به ولا تطيق التعبير عنه

هذا للشاعر على عظم فضله ، وجلال « منفعة » لأتمته ليس هو للشاعر المثالي الذي تتطلع إليه الآداب الرفيعة ويحفل به تاريخ الفنون

وإنما هو حلقة بين الشاعر البدائي وشاعر الشخصية المستقلة هذا الذي يرى الكون من خلال نفسه الخاصة ويعرضه علينا فتلقاه كأنه نموذج مفرد لكون جديد ، ويعرضه في متحف للفنون مع زملائه ؛ فإذا لدينا أكوام جديدة بمداد الفنانين الذين نعرضهم ، لا صوراً متشابهة من أحاسيس الجمهور في فترة من الفترات

وشاعر الشخصية هذا قد يعرض لأحداث أمة أولاً يعرض ، وقد يتلاقى إحساسه مرة مع إحساس الجماهير أو لا يتلاقى أبداً ، ولكنه يبقى مع هذا شاعراً أصيلاً للحياة ، في شاعرته غرض مقصود ، ولفن في ديوانه نموذج من النماذج النفسية الموقفة . ويبقى في أسوأ حالاته أرفع وأخلد من شاعر القبيلة الذي تلتقى في نفسه وتبلور أحاسيس الجمهور

وقد لا ينتفع جيل هذا الشاعر به كما ينتفع بشاعر القبيلة ولكن يجب أن نفهم أن نظرية المنفعة ليست هي الحكمة في أقدار الفنون ، وأن للشاعر ليس مطالباً أن « ينتفع » جيلاً بذاته من الناس ، وشاعر الشخصية لا بد نافع ونافع في دائرة أسمى وأوسع وأبعد أثرًا من شاعر القبيلة ، بما يجلوه من نماذج رفيعة قد لا تطرق أي حدث واضح من الأحداث العامة

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالآتي :
السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ،
و ٧٠ قرشا من كل سنة من السنوات : الثانية
والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة
في مجلدين . وذلك هذا أجرة البريد وقدرها خمسة
فروش في الداخل وخمسة فروش في السودان
وعشرون قرشا في الخارج من كل مجلد .